نشوان زيد علي عنتر
"أكاذيب محلية"

أكاذيب محلية

بقلم :

نشوان زيد علي عنتر

٢٠١٩م

مقبرة الأتراك

مشـــكلة اليمنيـــين علـــى مـــر العصـــور إنهـــم يكـــذبون الكذبـــة فيصـــدقونها و هـــم علـــى يقـــين مـــن عـــدم صـــحتها بتاتـــا ، و مـــن بـــين هـــذه الأكاذيـــب التـــي إختلقوهـــا لأنفســـهم أكذوبـــة مقبـــرة الأتـــراك ، حيـــث لا يكـــل و لا يمـــل مؤرخونـــا الأكـــاديميين المحليـــين و لا ســـيما المنتمـــين إلـــى الطائفـــة الزيديـــة عـــن ترديـــد هـــذه الأســـطورة المزعومـــة فـــي أبحـــاثهم و مؤلفـــاتهم ليـــل نهـــار علـــى مســـامع المتلقـــين مـــن كـــل حـــدب و صـــوب وصـــلت إلـــى حـــد تزويـــر الحقـــائق و تشـــويهها و تلقينهـــا للأجيـــال الصـــاعدة دون حســـيب أو رقيـــب أو إلتـــزام بـــروح الأمانـــة العلميـــة حتـــى ، و مـــن بـــين هـــذه الإدعـــاءات أو الأباطيـــل مقولـــة أن الـــيمن هـــو أول بلـــد عربـــي و إســـلامي يتحـــرر مـــن نيـــر الإســـتعمار التركـــي العثمـــاني و ذلـــك فـــي العـــام ١٦٣٥م متناســـين المغـــرب و إيـــران اللـــذان تحـــررا مـــن قبضـــته مبكـــرا ،

فالأولى خضعت لحكم الأتراك مدة عشرة أعوام خلال عهد الملكين المتوكل و المعتصم السعديين (١٥٦٠- ١٥٦٥م) ثم تحررت منهم خلال عهد الملك المنصور السعدي عام ١٥٧٧م ، أما إيران فسقطت بأيديهم إثر إنتصارهم المدوي على الصفويين في معركة جالديران الشهيرة شمال إيران عام ١٥١٧م و تصبح البلاد خاضعة لهم مدة ٤٩ سنة قبل أن ينجح الإيرانيون في دحرهم و إخراجهم منها عام ١٥٦٦م .

أما فيما يتعلق من ترديد بعضهم من أن اليمنيين كبدوا الأتراك العثمانيين الخسائر الهائلة في العتاد و الأرواح دون مساعدة خارجية بسبب بسالة الأول و شجاعته و إستفادته من طبيعة بلده الجبلية الوعرة التي لم يستطع الثاني السيطرة عليها طوال فترة إحتلاله الطويلة لهم فجزء منه صحيح و الآخر خاطئ ، فاليمنيون فعلا أقضوا مضاجعهم ليس

بسبب شجاعتهم في القتال فهذا كان في الماضي خلال العصور القديمة و الوسطى بل لأنهم جبناء غدارين و متوحشين بالسليقة ، فلقد كانوا يفرون من أمام الجنود الأتراك و أسلحتهم النارية كالفئران المذعورة فيختبئون في جبالهم الوعرة بأماكن لا يعلمها سواهم مستفيدين من جهل أعدائهم بطبيعة بلادهم و عدم خبرتهم في حرب العصابات الجبلية (قبل أن يتمكن قائدهم و واليها أزدمر باشا (١٥٥٩-١٥٧٢م) من السيطرة عليها) فيخرجوا من مخابئهم و ينقضوا عليهم كالقرود الشقية دون رحمة أو شفقة ، كما أنهم استعانوا بالبريطانيين ضدهم خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٦م) و وقعوا بمنتهى السهولة بيد الإحتلال المصري عام ١٨٢٤م و الإحتلال الفرنسي (١٨٧٠-١٩٣٤م) و البريطاني (١٧٩٠-١٩٣٤م) ، أما ما يسوقه دوما مؤرخو الحقبة

الزيدية و لا سيما المنتمين إلى الهضبة الشمالية من معلومات مغلوطة تنسجم مع مقولة (التاريخ يكتبه المنتصرون) من أن أتباع المذهب الزيدي هم الوحيدين الذين حملوا لواء المقاومة و الثورة ضد الإستعمار التركي دفاعا عن الوطن و نجحوا بمفردهم في طردهم من البلاد عامي ١٦٣٥م و ١٩١٨م فهو تشويه متعمد للحقائق التاريخية نابع من عنصريتهم المذهبية تجاه مواطنيهم و إخوانهم من أتباع المذهبين الشافعي و الإسماعيلي و سكان المحافظات الوسطى و الجنوبية و الذين لولاهم لما تم تحرير اليمن من الأتراك في العامين السالفي الذكر ، فضلا عن أنهم لم يقاوموهم دفاعا عن الوطن كما يزعمون بل دفاعا عن مذهبهم و طائفتهم و سعيا وراء الإستيلاء على السلطة في بلادهم فقط ، و ما الإتفاقية المبرمة بين أزدمر باشا و الإمام المطهر و صلح دعان بين أحمد عزت باشا و

الإمـــام يحيـــى حميـــد الـــدين عـــام ١٩١٦م إلا برهـــان ساطع علـــى ذلـــك ، ثـــم أن المحافظـــات الجنوبيـــة لـــم تخضـــع للحكـــم التركـــي إلا بعـــد مـــرور عشـــر ســـنوات علـــى ســـقوط نظيراتهـــا الشـــمالية عـــام ١٥٣٨م أي فـــي عـــام ١٥٤٨م مـــا يكشـــف لنـــا مـــدى إســـتهتار مؤرخينـــا التقليـــديين و الأكـــاديميين المحليـــين علـــى حـــد ســـواء و عبـــثهم الطفـــولي بتاريخنـــا الـــوطني الحـــديث و المعاصـــر خيانـــة للأمانـــة العلميـــة و تعصـــبا لنعـــراتهم المذهبيـــة و المناطقيـــة و القبليـــة و الســـلالية و الطبقيـــة و الجهوية إلى يومنا هذا .

النزعة الوحدوية

دائما ما تقرأ في الصحف المحلية بشقيها الرسمي و الأهلي تعبير (إعادة تحقيق الوحدة اليمنية عام ١٩٩٠م) ، و عندما تسأل قائليه عن سبب إصرارهم على تبنيه و تشديدهم عليه دون غيره من التعابير الأخرى يعللون بأن الشعب اليمني موحد منذ القدم ، و ما جرى في الثاني و العشرين من مايو عام ١٩٩٠م مجرد تأكيد عملي على هذه الحقيقة الساطعة ، فهل اليمنيين شعب وحدوي حتى النخاع كما يقولون أم لا ؟

لو قمنا بتحليل ما سبق فسنكتشف أنه ينطبق على الشعبين الصيني و المصري ، فمن المعروف أن اليمنيين إنفصاليون حتى النخاع مفطورون عليه منذ ولادتهم ،و هذا أمر ليس بمستغرب في بلد يعج بالنعرات المناطقية و القبلية و العشائرية و المذهبية و العرقية وتهشم جسده التضاريس الجبلية الوعرة و

الصحراوية القاحلة القاسيتين كغيرها من البلدان المتعددة المشارب و العوائق الجغرافية و من على شاكلتها من البلدان العربية كسوريا و لبنان و المغرب .... الخ .

و إن كانت إستطاعت إلى حد كبير الحفاظ على وحدتها الوطنية و ترسيخ الهوية السياسية النابعة من في عقول الأجيال السابقة و اللاحقة من أبناء شعوبها بالرغم الحروب و النزاعات الأهلية التي كادت تقسمها إلى دول متناحرة و بهويات مجزأة و مشوهة و يرجع ذلك إلى روح الإنتماء الوطنية العالية لدى أبنائها ، بعكس اليمنيين الذين لا يعرفون ماهية اليمن كوطن و هوية بالنسبة لهم ، فحوالى ٩٩٪ منهم لا يحبون وطنهم و لا يشعرون بروح الإنتماء إليه حتى وقتنا الحاضر ، سيما و أن اليمن البلد الوحيد في العالم العربي الذي كان مقسما إلى عدة دول في العصور القديمة و الوسطى

و الحديثـــة ثـــم دولتـــين فـــي القـــرن العشـــرين ممـــا أدى إلـــى تكـــريس النزعـــة الإنفصـــالية لـــدى اليمنيـــين حكامـــا و شـــعبا أكثـــر مـــن ذي قبـــل ، فلـــم تـــنجح مســـاعي الـــدول الحميريـــة (العصـــر القـــديم) و الصـــليحية و الرســـولية (العصـــر الوســـيط) و القاســـمية (العصـــر الحـــديث) و الجمهوريـــــة اليمنيـــــة (١٩٩٠-٢٠١٦م) الوحدويـــة فـــي القضـــاء عليهـــا و علـــى مراكـــز القـــوى المحليـــة الحاملـــة للوائهـــا منـــذ فجـــر التـــاريخ و المتـــآمرة علـــى الدولـــة و مؤسســـاتها رغـــم تواطـــؤ الأخيـــرة معهـــم علـــى حســـاب الـــوطن ، و لـــم توقـــف ســـيل الصـــراعات الداميـــة داخـــل الـــبلاد الناتجـــة عـــن إفرازاتهـــا العفنـــة و كـــان آخرهـــا الحـــرب الـــدائرة منـــذ عـــام ٢٠١٥م و خلفـــت وراء دمارهـــا العبثـــي آلاف القتلـــى و الجرحـــى و المـــوتى مـــن المرضـــى و الجـــوعى جـــراء الحصـــار و العـــدوان الخـــارجي و وحشـــية الإخـــوة الأعـــداء ضـــد بعضـــهم الـــبعض الـــذين نجحـــوا عـــام

٢٠١٦م فـــي القضـــاء علـــى الوحـــدة اليمنيـــة و تحويـــل اليمن إلـــى يمنـــين لتعـــود حليمـــة إلـــى عادتهـــا القديمـــة مجددا .

الحضارة

غالبا ما توصف اليمن و لا سيما من قبل علماء الآثار الالمان بأنه بلد ذو حضارة عريقة قديمة قدم التاريخ عمرها خمسة آلاف سنة و هي أقدم الحضارات في شبه الجزيرة العربية قدم فيها أجدادنا اليمنيين القدماء عصارة إبداعاتهم الصناعية و الزراعية و العلمية و التكنولوجية و السياسية و الثقافية و الفكرية آنذاك ، و أثبتوا من خلالها للأمم الأخرى بأنهم من الشعوب المتحضرة العريقة في إبداعاتها البشرية مثلهم مثل نظرائهم في العراق و مصر و بلاد الشام .

إذا كان هذا الكلام صحيحا و هو صحيح بنسبة ٤٠٪ فكيف تفسر أن معظم النقوش و الآثار اليمنية القديمة إن لم نقل جميعها ما تزال تدور في فلك الثلاثي المرح الراسخ في عقلية الإنسان العربي و اليمني على حد سواء ، العقيدة و الغنيمة

و القبيلة ؟ فهي إلى حد الآن مازالت تتحدث بين سطورها عن الحروب و هجمات القبائل الهمجية المسلحة و السلب و النهب و قطع الطريق و جمع الغنائم و الطقوس الدينية و النذور الدينية و نادرا ما تتحدث عن الأمور الأخرى ؟ ما يبرهن لنا أن الحضارة اليمنية القديمة ما هي إلا حضارة بدوية متخلفة كالحضارة العربية بعد ظهور الإسلام و إنجازاتها مجرد ضربات حظ مؤقتة سرعان ما تتحول إلى سراب يحسبه الظمآن ماء .

و حتى لو فرضنا أن اليمنين كانوا أصحاب حضارة عظيمة من قبل ، فما الفائدة منها إذا كان لا يوجد تواصل حضاري بين الأجداد و الأحفاد كما حدث في مصر و العراق و سوريا و لبنان و إيران ؟ فمازال اليمنيون في وقتنا الحاضر يعيشون في الألفية الثالثة بعقلية العصور الحجرية فاقت ما لدى نظرائهم الأفارقة في جنوب الصحراء الكبرى على

الــرغم مــن وجــود بعضــا مــن مظــاهر الحضــارة الحديثــة لـــديهم إثـــر قيـــام ثـــورة ٢٦ ســـبتمبر عـــام ١٩٦٢م ، فمـــازالوا همـــج رعـــاع فوضـــويون قطـــاع طـــرق لا يحبـــون التعلـــيم و لا التحضـــر و لا يلتزمـــون بـــالقوانين و النظـــام بمـــن فيهـــا قـــوانين المـــرور و لا يعترفـــون بالدولـــة العصـــرية و مقوماتهـــا و مجتمعهـــا المـــدني و يمارســـون الســـلب و النهـــب و يصـــفون حســـاباتهم و يحلـــون مشـــاكلهم بعيـــدا عـــن الشـــرطة و القضـــاء عبـــر الســـلاح و يعيشـــون فيمـــا بيـــنهم بمنطـــق شـــريعة الغـــاب تحـــت مبـــرر الإســـلام و العـــادات و التقاليـــد و جمـــيعهم بـــريء مـــن إدعـــاءاتهم بـــراءة الـــذئب مـــن دم يعقـــوب ، و مـــع ذلـــك و بـــالرغم ممـــا أســـلفناه مـــن قبـــل فمـــازالوا يتبجحـــون و يتبـــاهون أمـــام العـــالم بشـــكل مثيـــر للإشـــمئزاز و القـــرف بـــأنهم أصـــحاب أعظـــم حضـــارة فـــي شـــبه جزيـــرة العربيـــة عمرهـــا خمســـة آلاف ســـنة و أنهـــم المـــوطن الأصـــلي للعـــرب و الشـــعوب الســـامية ،

علـــى أي أســـاس ؟ لا أحـــد يـــدري ، متناســـين المثـــل العربـــي القائـــل (لـــيس المـــرء مـــن قـــال كـــان أبـــي و أنمـــا المرء من قال ها أنا ذا) .

التدين

هل الشعب اليمني فعلا متدين أم يدعي التدين أمام الناس ؟

كلاهما ، فالظروف المكانية و الخصائص الجغرافية السيئة لهذا البلد تدفع سكانه إلى التشدد الديني و الإكثار من الإلتجاء بالله و الألهة الوثنية و رجال الدين سعيا وراء التخلص من البطالة و الفقر و الأوضاع الإقتصادية السيئة الناتجة من إنعدام الثروات الطبيعية و لكن بشكل سلبي ، فمنذ إعتناقهم الأعمى و المتسرع للحنيفية و اليهودية و المسيحية و الإسلام و هم لا يأخذون سوى أسوأ مظاهرها السلبية فحسب ، و ذلك لأنهم لا يستعملون عقولهم أصلا في غربلتها و التمسك بمضمونها دون قشورها الزائفة بما يتلاءم مع بيئتهم و العصر الذي يعيشونه ، إضافة إلى أنهم بلا إرادة قوية و لا هوية وطنية ثابتة تجعلهم يقاومون بحزم

الغزو الثقافي القادم من الخارج و لا سيما من البلدان التي يشاركونها نفس الدين كالسعودية و إيران و مصر حيث ينساقون إليهم إنسياق الحمير دون قيد أو شرط و يصل بهم الحال إلى أن يكونوا مروجين أساسيين لها في بلدان أخرى دون أن يطلب منهم ذلك كما فعلوه في أفغانستان و الشيشان ، و ما يثير الغرابة في ظاهرة التدين لدى اليمنيين أنها لا تنتشر بينهم إلا في حالة الفقر و الأزمات الإقتصادية التي تعصف بهم على مر العصور فقط ، و عندما يصبحوا أغنياء و في رغد من العيش يتخلوا عن تدينهم بمنتهى السهولة و يضحى نصفهم بغاية الإعتدال كما حدث في الشطر الشمالي من الوطن قبل الوحدة[1] ، بينما يتحول النصف الآخر إلى وحوش منحطة أخلاقيا بغاية الإنفلات ، ما يبرهن لنا أن إدعاء اليمنيين

---

[1] كان المؤلف شاهدا على ذلك عندما رأى أبناء بلده أكثر إعتدالا في فهمهم للدين خلال ثمانينات القرن العشرين قبل أن يصبحوا متطرفين بعد حدوث الإنهيار الإقتصادي في اليمن بعد الوحدة منذ عام ١٩٩٧م .

لأنفسهم بالتدين و الإلتزام الروحي ما هو إلا إدعاء كاذب سمج من نسج خيالهم يكذبون به على أنفسهم ليل نهار سرا و علانية .

المجتمع المدني

هل المجتمع اليمني مجتمع مدني متحضر ؟ الإجابة لا ، فشتان بين الثرى و الثريا ، فالمجتمع المدني مجتمع علماني حر ديمقراطي مدني غير عسكري و متعلم و خال من النعرات الطائفية و المناطقية و العرقية و الدينية و الطبقية و الجهوية ..... الخ ، و هذه الشروط لا تتطابق مع طبيعة المجتمع اليمني الغارق في تدينه و تقليديته الزائفين الذي ورثهما من النظام الإمامي و عقيدته الهادوية الذي لا تزال جاثمة على صدر سكان المحافظات الشمالية رغم مرور ٦٢ عاما على قيام ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢م في مواجهة نظيرته الوهابية السائدة حاليا في المحافظات الوسطى و الجنوبية مما يكشف لنا حدة الصراع بين الأقلية الزيدية التي لا تزال تستأثر بالسلطة و الجيش و الإفتاء و الأغلبية الشافعية لكنهما يتفقان في عدائهما السافر

للأقليـــة الإســـماعيلية و التـــي هـــي واحـــدة مـــن النعـــرات الضـــيقة العفنـــة التـــي تنخـــر عقـــول اليمنيـــين قبـــل أفئـــدتهم و لا ســـيما ســـكان المحافظـــات الشـــمالية إلـــى يومنـــا هـــذا كـــالنعرات الطائفيـــة (الزيديـــة ، الشـــافعية ، الإســـماعيلية) و المناطقيـــة (المدينـــة ، القريـــة ، المحافظـــة) و الجهويـــة (الشـــمال ، الجنـــوب ، المنـــاطق الوســـطى) و الدينيـــة حيـــث لا يـــزال أفـــراد الـــديانات اليهوديـــة و المســـيحية[٢] و البهائيـــة[٣] يعـــاملون مـــن قبـــل الدولـــة علـــى أنهـــم أهـــل ذمـــة تفـــرض علـــيهم الجزيـــة ، و بالتـــالي فهـــم أجانـــب و غربـــاء عـــن البلـــد علـــى الـــرغم مـــن أنهـــم مواطنـــون يمنيـــون أقحـــاح يتمتعـــون بكافـــة حقـــوقهم المدنيـــة و الدســـتورية أســـوة بنظـــرائهم المســـلمين ، و النعـــرات العرقيـــة حيـــث تعـــاني الأقليـــة الســـوداء فـــي المحافظـــات الشـــمالية مـــن التمييـــز العنصـــري الممـــنهج هنـــاك حيـــث ينعتـــون بالخـــدم و

[٢] يبلغ عدد المسيحيين اليمنيين حوالي ثلاثة آلاف نسمة (المؤلف) .

[٣] يبلغ عدد البهائيين اليمنيين حوالي ٥٠ ألف نسمة (المؤلف) .

ينطبق الأمر ذاته على الأقليات التركية و الهندية و الصومالية و الإثيوبية ، و النعرات الطبقية حيث يحتقر الشماليون أصحاب المهن الحرفية و لاسيما الجزارين المعروفين لدى اليمنيين بالمزاينة و الحجامين و الحلاقين و القشامين[٤] ، و النعرات القبلية (حاشد ، بكيل ، مذحج .... الخ) على حساب الولاء للوطن ، و يعود ذلك إلى ضعف الدولة و تفشي الجهل و الأمية التي تبلغ حوالي ٧٢% من عدد السكان و ضعف التعليم الغير قادر على ترسيخ مبادئ الوطنية و المواطنة و قيم العمل و العلم الإجتماعية في بلد متخلف إقتصاديا و علميا و تكنولوجيا و حضاريا محكوم من قبل نظام فردي ديكتاتوري ثيوقراطي[٥] فوضوي هش لا يزال يدير الدولة و يسير أمور البلاد بأساليب بالية عفا عليها الزمن تعود إلى العصور الوسطى و من

[٤] المقصود هنا مزارعو و تجار الفجل و التي يعرف بالقشمي باللهجة الصنعانية (المؤلف) .

[٥] من كلمة ثيوقراطية أي سلطة رجال الدين باللغة اليونانية (المؤلف) .

بينهـــا سياســـة فـــرق تســـد الإســـتعمارية لإثـــارة الخلافـــات بـــين أبنـــاء الشـــعب الواحـــد لتضـــمن ولاءهـــم المـــريض لهـــا و سياســـة التجويـــع القائمـــة علـــى مبـــدأ جـــوع كلبـــك يتبعـــك ، كمـــا أنهـــا تســـتخدم الديمقراطيـــة و حريـــة الـــرأي المـــزيفين و التعدديـــة الحزبيـــة ذريعـــة نتنـــة لإســـتجداء المســـاعدات الماليـــة و الإقتصـــادية مـــن الغـــرب دون أن ينفقـــوا قرشـــا واحـــدا منهـــا علـــى شـــعبهم العديم الفائدة أصلا .